جامعـــــــــــــة بسكـــــــــــرة

كليـــــــــة الآداب واللغـــــــات

قسـم الآداب واللغة العربية

محاضرات في مقياس: المدارس النقدية

لطلبة السنة الأولى ماستر (الفوج 1، 2، 3، 4)

شعبة: نقد حديث ومعاصر

المحاضرة الثالثة بعنوان: مفهوم الأسلوبية ورواجها في الوطن العربي

إعداد الأستاذ الدكتور: بشير تاوريريت

السنة الجامعية: 2023-2024

1-في ماهية الأسلوبية والأسلوب: مفاهيم أولى.

لعل أهم سمة قامت عليها الأسلوبية هي غرامها بالبحث عما يتميز به الكلام الفني عن غيره من أصناف الخطاب. وهذا التميز غالبا ما يتحقق عن طريق خرق القواعد المعروفة للنظام اللغوي العادي. سواء في مستواه الصوتي أو الصرفي، أوالتركيبي أو الدلالي...، فشعرية الكتاب تأتي من الشيء غير المتوقع، أو خيبة الانتظار، فالمرسل يتجاوز دائرة الإبلاغ إلى دائرة التأثير والانفعال، وهذا ما يسمى في الدراسات النقدية الحديثة بالانزياح أو الانحراف الأسلوبي.

ينطلق جان كوهين من هذه الخاصية الجمالية في تحديده لماهية الأسلوبية فهي «علم الانزياحات اللغوية»[1]. إن الانزياح في مفهوم كوهين هو« المجاوزة الفردية أو طريقة في الكتابة خاصة بمؤلف واحد»[2]. وأحب إلى أن أشير هنا إلى أن مصطلح الانزياح عرف بأسماء أخرى رديفة له كالعدول والتجاوز والانحراف والتوسع والاتساع والفضح والخرق...وما إلى ذلك من المصطلحات الأخرى التي أسهمت في بناء الصرح الأسلوبي. وبما أن ظاهرة الانزياح تقوم أساسا على الخرق فإنها وبصورة متواترة وقصدية تخرق القاعدة اللسانية القائلة بأنه لكل دال مدلول واحد، فبواسطة الانزياح تملئ الدوال بمدلولات جديدة لا حصر لها. بل أن الدال الواحد يتحول إلى فضاء ومجرة من المدلولات اللانهائية. وبهذا الفهم ينشأ قاسم مشترك بين حقل الأسلوبية وعلم الدلالة ,في القيام على مبدأين أساسيين هما الاختيار والتأليف. وذلك بهدف إحداث الأثر في نفسية المتلقي من جراء نسيج الكلمات وتأليفها تأليفا جديدا يخضع إلى مبدأ الاختيار.

---

[1] جان كوهين: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد المولى ومحمد الغمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص 16.

[2] جان كوهين: النظرية الشعرية(بناء لغة الشعر، اللغة العليا) ، ترجمة وتقديم وتعليق أحمد درويش، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000، ص36.

ولكن المدهش حقا أن يجمع جاكبسون بين معرفة دقيقة باللسانيات وتشرب كامل لروح الشعر على نحو خاص، وتلك حالة فريدة تتجلى في تعريفه للأسلوبية حيث يقول: « إنها بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا»[1]. إن هذه التقابلية التي أقامها جاكبسون بين الكلام العادي والكلام الفني هي التي جعلته يتوصل إلى مفهوم الشعرية التي تعمل على استكشاف القوانين التي يكون الكلام العادي بمقتضاها كلاما فنيا. ومن الدال جدا أن نشير هنا إلى أن الأسلوبية لا تعنى بالسمات المتفوقة التي تميز النص الأدبي، وإنما تعني من حيث تشكيلها للكل الشامل الذي يجمع كل تلك السمات في وشاح موحد بما يمكن تسميته « بكيفية التعبير»، ومن أجل ذلك فإن الأسلوبيين يخرجون من دوائرهم كل السمات المتفرقة أو الطرائق الخاصة أو التكنيكات أو الوسائل الأسلوبية التي لا تقوى على تشكيل كلية الأسلوب الذي تعمل كل أدوات النص وآلياته على بنائه واكتماله ؛بحيث يمكن الحكم على كل خاصية جزئية أو مركبة بأنها تنتمي إليه وتصدر عن قوانينه التي تسير نظامه الكلي.

لقد أصبح في الحكم الثابت أن الأسلوب ثقافة تستخدم لنقل الأفكار وتصوير الخواطر، وأن الأسلوبية آلة تعمد إلى تفكيك الأسلوب للوقوف على عناصره وعلاقاتها؛ لأن الأسلوب لغة تتميز بالاكتفاء الذاتي وتغرس جذورها – على حد تعبير بارت – في أسطورية المؤلف، الذاتية السرية[2]، ويقرن بيار جيرو (pierre giroux) بين مفهوم الأسلوبية وموضوع النقد الأسلوبي فيقول :« الأسلوبية تحدد نوعية الحريات في داخل هذا النظام. القواعد هي العلم الذي لا يستطيع الكاتب أن يصنعه أما الأسلوبية فهي ما يستطيع فعله، ولكننا لن نخلط بين ما يستطيع فعله وما يفعله؛ لأن هذا هو موضوع نقد الأسلوب على مستوى النص»[3]، وفي هذا السياق تصبح أعظم سمة تميز الأساليب عند الكاتب على نحو

---

[1] محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، دار الآفاق، بيروت، لبنان، ط1 1989، ص11.

[2] ينظر: صلاح فضل: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 2 ،1985، ص83.

[3] بيار جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ط، د.ت، ص9.

خاص وهو تفردها من ناحية، ومن ناحية أخرى هو كونها دليلا على شخصيات أولئك في تصرفاتهم في الألفاظ؛ الأمر الذي يجعل الأسلوبية بحثا في كيفية هذه التصنيفات الحرة، لاستكشاف قوانينها المسيرة وخصائصها المميزة.

وإذا كانت الأسلوبية تقوم أساسا على دعامتين هما الانزياح والتفرد، فإن الأسلوب أيضا يتحدد تبعا لهاتين الخصيصتين. فبول غاليرى(paul valery) يقرر بأن:« الأسلوب انزياح بالنسبة لقواعد »[1]، وكثيرا ما يجري التركيز في تعريف الأسلوب على جانبه الفرداني ويتضح ذلك جليا في أطروحات رولان بارت. حيث « الأسلوب هو "شيء"، الكاتب هو روعته وسجنه، إنه عزلته(...) ولأنه مسعى مغلق للشخص فإنه لا يكون قط نتاج اختيار أو تفكير في الأدب. إنه الجانب الخصوصي في الطقوسي(...) الأسلوب صوت مزخرف يزين لحنا مجهولا(...) ليس للأسلوب سوى بعد عمودي، يغوص في الذكرى المنغلقة للشخص، ويكون كثافته انطلاقا من تجربة معينة للمادة. إن الأسلوب ما هو إلا استعارة أي معادلة ما بين البنية الأدبية والبنية اللحمية للكاتب»[2].

هكذا يقدم لنا رولان بارت عرضا وجيزا لمواصفات برنامجه الأسلوبي، فالأسلوب عنده هو ما يتميز به الكاتب من سيمات أسلوبية تجعله متفردا عن غيره من الكتاب، وهو في الوقت نفسه محاولة من الكاتب تطمح إلى رسم شخصيته عن طريق تأليف الكلمات تأليفا خاصا يشبه السحر. وهذا ما يسمى عادة كيفية القول أوطريقة التعبير، على هذا النحو عرف بيار جيرو الأسلوب بأنه :« طريقة في الكتابة وهو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية... »[3]. وفي مقابل ذلك نجد ميشال فوكو يعرف هو الآخر الأسلوب في كتابه

---

[1] بيار جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، ص 86.

[2] رولان بارث: الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة محمد برادة، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، ط3، 1985، ص35.

[3] بيار جيرو: الأسلوب والأسلوبية، ص9.

" علم آثار المعرفة " بأنه :« طريقة معينة في القول »[1]، ومن الواجب هنا ألا نقع في شرك التمييز السخيف بين الأسلوب والمضمون أو بين ما يقال، وبين« كيفية القول »، لأن القول أو التصريح هو ما يشكل « المحتوى » أو« المدلول » أو« الموضوع » ،الخطاب إذا ما لم ينشئ الخطاب مقابل صمت الوجود المجرد أو ضمن همهمة ، ارتعاش الأشياء السابقة على اللغة، فإنه لا يكون هناك فرق بين الدال والمدلول، بين الذات والموضوع ،بين الرمز والمعنى. وهذه الفروق في الواقع هي نتيجة الحادث الخطابي ،لكن هذا الحادث يبقى دون وعي لهدفه الحقيقي وهو أن يوجد وأن يقنع عشوائية وجوده بقناع القول البسيط والأسلوب هو طريقة هذا الكشف والاخفاء المتزامنين في الخطاب.

وما نستخلصه من هذه التعاريف أو الماهيات هو أن الأسلوب طريقة الكاتب في التعبير عن موقف ما، والإبانة من خلال هذا الموقف عن شخصيته الأدبية، وتفردها عن سواها في اختيار المفردات وتأليفها وصياغة العبارات وسحرها، وما إلى ذلك من الاستخدام المتميز للتشبيهات البلاغية، وبكلمة موجزة: الأسلوب هو الشخص أو الشيء الكاتب، إنه النسيج الذي يشكل معادلة رمزية تحمل في طياتها أبهى صورة من صور استخدام الكلام لدى كاتب ما. أما الأسلوبية فهي علم دراسة الأسلوب وبحث دائم في الأسس الموضوعية لهذا العلم أعني علم الأسلوب. هي باختصار مغامرة انزياحية داخل الجهاز اللغوي. – في مستوياته المتباينة – مما يجعل الدوال تبتعد عن مرجعيتها في سياقاتها الأدبية. وبقدر انحيازها عما وضعت له أصلا يكون نصيبها من الأدبية.

2- رواج الأسلوبية في الوطن العربي:

انتقلت عدوى الاتجاهات الأسلوبية إلى الساحة النقدية العربية في مرحلة الستينيات، ولم تكن الأقلام العربية المعاصرة بمنأى عن هذه الطيوف الأسلوبية الحائرة، فقد اجتاحت واكتسحت الأسلوبية عالم النقد المعاصر في الفترة الممتدة بين أواخر الخمسينيات وبداية

[1] ينظر: جون ستروك: البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ص119.

التسعينيات، محملة بلقاح الفكر الغربي، حيث حلت الأسلوبية ضيفة كريمة في بيوت نقدنا العتيق البالي في بواكره الأولى من مرحلة الحداثة.

إن المحاولات الأسلوبية – في الساحة النقدية العربية– وفي فترة ما قبل السبعينيات كانت بسيطة ومحتشمة حتى وإن حاولت الانفلات من الطابع المعياري الذي ميز البلاغة العربية، فهذه المحاولات تندرج تحت مظلة علم البلاغة القديم أكثر من انضواءها تحت لواء الأسلوبية اللسانية الجديدة، وهذا لا يعني أبدا أنها منقطعة تماما عن التيارات الجديدة، وعلى سبيل المثال فإن كتاب (علم الأسلوب) للأستاذ أحمد الشايب على الرغم من كونه يدعو إلى الثورة على علم البلاغة، فإنه لم يستطع أن ينفلت من شباكها ،وظل طابعها العام مسيطرا عليها.

ولم يستطيع أحمد الشايب في كتابه المذكور أعلاه أن يكسر الحواجز التي تحجب بينه وبين الدراسات الأسلوبية في منعطفها الحداثي التي تعمل على وصف المجهري لمكونات النص في مرحلة، وفي مرحلة تالية الوصول إلى ما يرقد تحت البناء السطحي من قيم نفسية أو اجتماعية أو طاقات فكرية محركة لعملية الإبداع. وقد اتجه بدراسة الأسلوب اتجاها معياريا كما هو الحال في البلاغة القديمة، فقرر أنه في الأسلوب يدرس القواعد التي إذا أتبعت كان التعبير بليغا، أي واضحا مؤثرا. [1]

لقد استمر الحال راكدا حتى مطلع السبعينيات، تلك الفترة التي أطل فيها على نظرية النقد العربي المعاصر عدد من الدراسات والمترجمات، التي عملت على نقل النهضة الألسنية الحديثة في الغرب التي قطعت شوطا كبيرا في سلم التطور العلمي، ولكن الشيء اللافت للنظر أن هذه الحركة الجديدة، وبرغم حماسها المتوقد ظلت محصورة في دوائر ضيقة وظل أولئك المتحمسون نفرا قليلا، قياسا إلى النقاد الذين تبنوا الاتجاهات النقدية الأخرى.

[1] ينظر: أحمد الشايب: علم الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1939، ص37.

ويعد إبراهيم أنيس من الأوائل الذين قدموا المنهج البنيوي الوصفي تقديما علميا لأول مرة في تاريخ الفكر اللغوي العربي الحديث، من خلال كتبه «الأصوات اللغوية ودلالة الألفاظ» وهي تمثل المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وقد أرسى قواعد التفرقة بين الوصفية والتاريخية منذ عام 1947 وهذا في كتابه الأول، أعني «الأصوات اللغوية». أما في كتابه الثاني «دلالة الألفاظ» الصادر عام 1958، قد سلك فيه مسلك اللغويين المحدثين، حيث يرى أن دراسة الدلالة تتبوأ قمة التحليل اللغوي وتشكل هدفه النهائي[1]. وقسم الدلالات إلى صوتية وصرفية ونحوية ومعجمية أو اجتماعية[2]، والواقع أن الدراسات الأسلوبية الحديثة قد تغذت على هذه العطاءات الأولى فأفرزت لنا مولودا أسلوبيا جديدا.

ولقد بدأت الأسلوبية في نقدنا العربي الاحترافي تأخذ طريقها نحو الاكتمال والنضج بتأثير تلك المناهج اللسانية الحديثة والبحوث التي تستند إليها، وبفعل تزاوجها وتفاعلها مع النقد الأدبي الحديث وتنامي الإحساس بتأثر النقاد العرب المعاصرين بهذا التيار الوافد، ومن الأسماء اللامعة التي أسست للأسلوبية – في وطننا لعربي– تنظيرا وممارسة نذكر: الناقد التونسي عبد السلام المسدي في كتابيه «الأسلوبية والأسلوب سنة1977» و« النقد والحداثة سنة 1983» إلى جانب المسدي نجد الناقد السوري عدنان بن ذريل في كتابه «اللغة والأسلوب سنة 1980» و"محمد شكري عياد" في بحثه القيم« الأسلوبية الحديثة محاولة تعريف والمنشور بمجلة فصول السنة سنة 1981» ثم الناقد المصري صلاح فضل في كتابه «علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته سنة 1982» و«أساليب الشعرية المعاصرة سنة 1994»، كما نلتقي أيضا بشكري عياد في كتابه «والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، سنة 1988»، يضاف إلى هذه الأسماء محمد عزام في كتابه«الأسلوبية منهجا نقديا سنة 1989» وعبد الهادي طرابلسي في كتابه «خصائص الأسلوب في الشوقيات سنة 1981»

---

[1] ينظر: إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، 1976، ص7.

[2] المرجع نفسه، ص48–51.

وكتابه القيم «تحاليل أسلوبية سنة 1994» ومن الأسماء الجزائرية نذكر عبد الحميد بوزوينة في كتابه «بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي سنة 1988» ورابح بوحوش في كتابه «البنية اللغوية لبردة البصيري سنة 1993» وتوالت البحوث الأسلوبية فيما بعد لتشهد فضاء فسيحا، ونشرا واسعا في الكتب والمجلات.

وسيجري التركيز في الفقرات التالية على أخصب هذه المحاولات التي باستطاعتها أن تختزل لنا جل هذه المجهودات الأسلوبية في صراعها مع الآخر. وأولى هذه المحاولات هي محاولة عبد السلام المسدي في كتابه «الأسلوبية والأسلوب» والذي يعد من أبرز الدراسات التي حاولت بسط مبادئ التفكير الأسلوبي في أوربا وفرنسا على نحو خاص، وقد كشف فيه الباحث عن التيارات الأسلوبية وأبرز روادها. من خلال قضايا:المخاطب والمخاطب والخطاب عبر نظرية الاتصال على قاعدة بنيوية كما وضع ثبتا بالمصطلحات الأسلوبية والبنيوية، وذيله بتراجم لأعلام هذا الاتجاه الوافد الجديد. وقد أكد المسدي على ضرورة التوفيق بين هذه المصادرات الثلاث من أجل استيفاء حدود النظرية الشمولية للظاهرة الأدبية. [1]

ولعل أوفق السبل إلى هذه النظرة الشمولية أن نتنبه إلى أن الظاهرة النقدية الأدبية تجسم تقاطع ظواهر ثلاث: حضور الإنسان – مؤلفا كان أو مستهلكا أو ناقدا–، وحضور الكلام، فحضور الفن، وتلك الظواهر الإنسانية، فاللغوية، فالجمالية[2]، وتوصل في الأخير إلى أن هذه المنطلقات ما إن تتصل بالأسلوبية حتى تغدو علما شاملا للظاهرة الإنسانية. « ولعل الأسلوبية تغنم كل الغنم إن هي اتجهت هذه الوجهة فتحدد بكونها علما إنسانيا يعني بدراسة تعامل تلك الظواهر الثلاث في صلب توقه الحدث الأدبي، وتكون عندئذ علما أوفى

---

[1] ينظر: عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص 123.

[2] عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص 119.

في تجسيم مبدأ امتزاج الاختصاصات»[1]، والحق إن المسدي حاول تطبيق ما جاء به من مبادئ نظرية على نصوص أدبية ظنا منه أن الأسلوبية بآلياتها الإجرائية ومبادئها الصارمة تمكنه من الوصول إلى جماليات النص، فقد اتخذ مثلا من قصيدة « ولد الهدى » نموذجا تطبيقيا في كتابه الآخر «النقد والحداثة» حيث عمل على تحويل جماليات هذا النص إلى معادلات إحصائية وأرقام كمية لا تخبرنا في النهاية بشيء عن جماليات هذا النص وروحه الفياض. وسيكون لنا وقفة عند هذه الإجراءات التطبيقية في محطة لاحقة.

وقد تناول محمود عياد في بحثه المذكور أعلاه ماهية الأسلوبية ومناهجها وقصور ومشاكل مناهج الأسلوبية، ثم الأسلوبية والنقد الأدبي[2]، وعمل صلاح فضل من خلال كتابه «علم الأسلوب» على نقل كل ما يتعلق بالأسلوبية البنيوية في النقد الغربي إلى النقد العربي المعاصر، فعرض نشأة هذه الأسلوبية في أوربا واتجاهاتها في المدرستين الفرنسية والألمانية، موضحا مفهوم الأسلوب والأسلوبية، محددا علاقتهما بعلم اللغة والبلاغة، كما عرض أهداف البحث الأسلوبي ومناهجه: الانحراف والتضاد اللغوي، الوظيفية الاحصائية، الخواص الأسلوبية من خلال التحليل الوظيفي للمجال ومشكلة الصورة.[3]

ونلتقي بشكري عياد في كتابه «مدخل إلى علم الأسلوب» حيث قسمه إلى قسمين، أحدهما نظري والآخر تطبيقي، ففي القسم الأول بحث نظرية الأسلوب، وفكرة الأسلوب عند الأدباء، وعلاقة علم الأسلوب بعلم اللغة والنقد الأدبي وتاريخ الأدب والبلاغة، ثم بيّن ميادين الدراسة الأسلوبية ومهّد للدراسات التطبيقية بتخطيط رسم فيه صورة لكيفية قراءة النص الشعري، ثم انتقل إلى تطبيق ذلك على قصائد مختارة من الشعر الوجداني[4]. وقد بلغ د.

---

[1] المرجع نفسه، ص 120-121.

[2] ينظر: محمود عياد: " الأسلوبية الحديثة ". محاولة تعريف، مجلة فصول، القاهرة، مج 1، ع2، 1981، ص 123 وما بعدها.

[3] ينظر: صلاح فضل: علم الأسلوب. مبادئه وإجراءاته(فهرس الكتاب) .

[4] محمد شكري عياد: مدخل إلى علم الأسلوب، دار إلياس العصرية، القاهرة ،ط1، 1988(فهرس الكتاب).

شكري عياد قمة النضج العلمي في كتابه « اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي» الصادر عام 1988 لأن وظيفته لم تكن محصورة في نقل أصول الأسلوبية الغربية ومبادئها بل كانت موجهة إلى العمل بوعي وقدرة متميزة، على تأسيس علم أسلوب عربي في النقد الأدبي الحديث، الأمر الذي جعله يستيقظ كثيرا من النظريات الغربية في هذا المجال أو يطورها على نحو تخدم فيه فكرته الأساس.

هذا وقد ألف شكري عياد كتابا آخر في مجال الأسلوبيات بعنوان «اتجاهات البحث الأسلوبي» حيث طرح فيه اختبارات تتصل بقضايا علم الأسلوب وعلم اللغة لشارل بالي «علم اللغة تاريخ الأدب» لويس بيدزر «اتجاهات جديدة في علم الأسلوب)لـ: ستيفن أولمان، و«معايير لتحليل الأسلوب» لـ: ريفاتير، و«النحو التوليدي والتحليل الأسلوبي» لثورن. و«نحو تفسير برجماتي للإبداعية» لشمت suegfried js chamidt و«الأسلوب الفردي ومشكلة المعنى في العمل الأدبي» لميلان ياكوفتش Milan Jakovic[1]. فقد تناولت هذه الاختيارات الطرائق المختلفة للتحليل الأسلوبي ويمثلها أكبر الأسلوبين الغربيين.

كما توسع عنده مفهوم علم الأسلوب، فجاوز تحليل الأساليب اللغوية إلى تفسير النصوص الأدبية على أسس علمية دقيقة، تعتمد على نظرية المعرفة، وفاعلية القراءة[2]، وفي ذلك محاولة جعلت الأسلوبية تتسم بالشمولية التي تعني بكل بعدي العلامة الدال والمدلول. ومن ثمة بدأت معالم الاتجاه الأسلوبي تنحو منحى التبلور والاكتمال، متجاوزة حدود النقل والإتباع.

ومن الدراسات الجادة التي أثارت إشكالية المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث، نذكر محاولة صلاح فضل في كتابه «أساليب الشعرية المعاصرة»، حيث ناقش هذه الإشكالية من وجهة نظر إجرائية تنظر للشعرية العربية في ضوء كشوفات الأسلوب المنهجية

---

[1] محمد شكري عياد: إتجاهات البحث الأسلوبي، ص 21-210.

[2] المرجع نفسه، ص 212.

في بساطها العربي، وما قدمه علم النص من ممارسة نقدية شمولية للخطاب الأدبي. طبقا لتطبيقات صلاح فضل في تنبيهه للمواشجة بين المداخل النصية والسياقية والجمالية في دراسة النصوص الشعرية، أو الأساليب الشعرية من جهة والمواءمة بين تلك المداخل المتباينة، الوافدة وخصوصية النص العربي بما ينتج نمطا من الثقافة المتجانسة البعيدة عن التكييف القصري أو فرض الهياكل الجاهزة. [1]

ومن هذه الوجهة يبدو أن كتاب صلاح فضل هو محاولة لعقد لقاء حميمي بين الأسلوب والشعرية، بل هو علم أسلوب الشعرية في تموجها المعاصر إن صح هذا التعبير، ويتجلى ذلك في اعتماد صلاح فضل على مقصدية مزدوجة عملت على المواءمة بين مختلف الإجراءات المنتمية إلى اتجاهات نقدية متباينة، وكذا في إخضاع النص إلى هذه الآليات والإجراءات.

وفي نهاية عرضنا لرواج الأسلوبية في وطننا العربي نشير إلى أنه ثمة مجلات عربية متخصصة حظيت فيها الأسلوبية باهتمام خاص ونذكر على سبيل المثال لا الحصر. عدد خاص بالأسلوبية في مجلة فصول مج5، وفي عددها الأول. وقد تضمن هذا العدد أبحاث أسلوبية متميزة، على شكل مقالات منها ما تعلق بالأسلوبية التراثية من خلال إماطة اللثام على موضوع النظم عند عبد القاهر الجرجاني[2]، ومنها ما تعلق بصلة علم اللغة بعلم الأسلوب[3]، وثمة مسائل أخرى بالغة الأهمية.

وفي ختام محطتنا هذه يمكن القول إن هذه الدراسات الأسلوبية في منعطفاتها النظرية والإجرائية ما هي إلا قليل مما هو كثير، وهي تختلف فيما بينها باختلاف الطرائق الأسلوبية المنتهجة، فالأقلام السالفة الذكر ارتمت جميعا على ضفاف الدرس الأسلوبي مغذية روحها

---

[1] ينظر: بشرى موسى صالح:"المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث " مجلة علامات، ص 303.

[2] ينظر: نصر حامد أبو زيد: "مفهوم النظم عند عب القاهر الجرجاني قراءة في ضوء الأسلوبية" مجلة فصول، ص11 – 22.

[3] ينظر: صلاح فضل: في المرجع نفسه، ص 55 وما بعدها.

النقدي بآلياته وإجراءاته الصارمة، بل نهلوا من اتجاهاته المتباينة ،كل واحد بحسب مقدرته القصدية وبالتالي جاءت دراستهم الأسلوبية ملونة بألوان مختلفة، فكان النص الأدبي في بعض الأحيان هو الذي يعرض نفسه ضيفا كريما في بيت الأسلوبية مرة، وكانت الأسلوبية تعرض نفسها ضيفة على المنجز النصي مرة أخرى، فتقلقه وتثير غياهب ثورته. إنه الارتصاص بين جماليات النص في صورتها المتوقعة والمنتظرة والأسلوبية في صورتها الجامدة الهامدة، والمثلجة لأعصاب النص ونبضه المتوقد. بين هذا وذاك يبقى صياح النص مدويا باحثا عن منهجه الجديد.

إننا نقول مع بشرى موسى صالح « إذا ما أردنا صياغة توصيف نقدي ينطبق على أكثرها، نقول:إن الجهود النقدية الأسلوبية لم تصل بعد إلى ابتداع منهج عربي أسلوبي، تضرب جذوره في واقعنا النصي الشعري العربي. إذ إنها ولاسيما في مرحلتها الأولى تقتبس من الاتجاهات والمناهج الأسلوبية النصية الغربية من دون امتلاك فلسفة أو رؤية نقدية تحكم سلطة الأخذ، أو تبررها...»[1]. إن الأسلوبية العربية بهذا التصور لا تزال في بداية الطريق لعدم امتلاك منظريها ومطبقيها رؤية نقدية تنبثق من حس فني فياض يمكّن الناقد الأسلوبي العربي من تصيد الأقباس الجمالية المتمردة والمختفية في روح النص وما يغذي الشجرة الأسلوبية بنسغها الحي هو ارتكازها إلى جذور معرفية عربية وغير عربية، ومزجها بمعطيات المعرفة الحديثة، وذلك بهدف تخطي مجمل الصور الآلية التي ظهر بها النص هيكلا جامدا، هذا ما يمكن قوله عن رواج الأسلوبية وذيوع صوتها في وطننا العربي تنظيرا وممارسة.

[1] بشرى موسى صالح: " المنهج الأسلوبي في النقد العربي "، مجلة علامات، ص 292.